معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 30 April 2019
Accepted date: 15 April 2020

ضبط الترتيل وأثره في توثيق النص القرآني

THE EXACTITUDE OF *TARTIL* STYLE AND ITS EFFECTS ON QURANIC TEXT ADOPTION

Adnan Al Hamwi Al Olabi
Dept. of Quran & Sunnah
College of Sharia and Islamic Studies
University of Qatar, Doha - Qatar
E-mail: a.alolabi@qu.edu.qa

الملخص

إن من دلائل إعجاز القرآن الكريم تكفُّلَ الله بحفظه إلى يوم الدين، ومن مظاهر هذا الحفظ تعبُّد الأمة بتلاوته بمنهجية ثابتة تواترت آليَّتُها، وتوحدت طريقتها، خطاً ولفظاً، وكان النبي ﷺ أول التالين، متحرّياً التلقِّي والتلقين خشية اللحن، فجاء الأمر بالتتبُّع والمشافهة في قوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة: 18]. ويُعدُّ علم التلاوة والتجويد من العلوم المهارية العملية، إضافة لتميُّزه بمادة نظرية، جامعة مانعة، حيث يرتكز على معارف نظرية محددة، وتشارك في تطبيقه حواس متعددة؛ من أذن تسمع وتعي اللفظة القرآنية، وعين تنظر وتبصر آلية لفظها ونطقها، وفم ينطق ويلفظ بلسانه وشفتيه وحلقه الحروفَ من مخارجها الصحيحة، ومهارة ممثَّلة بضبط صفات هذه الحروف لتصبغها بفصاحة عربية بليغة، إضافة إلى العقل، والذي تشكل الذاكرة فيه حيّزاً مهمَّاً لتثبيت المقروء والمحفوظ من كلام الله تعالى، ناهيك عن القلب والفؤاد الذي يعي معنى الكلام فيخشع له، ويخلص في التعامل مع القرآن تأدباً وتعظيماً وتعبُّداً، ليُرزَق بركتَه وفتحَه. من هنا جاءت هذه الدراسة تهدف إلى إبراز قواعد التلاوة والترتيل، وأصول القراءة والتجويد، كمنهج ثابت بيّن، تواردت عليه الألسنة، وتواترت آلية ترتيله، تطابقاً مع الرسم العثماني على مرِّ القرون، إلى أن ألفينا اللسان القرآني في حاضرنا موحداً في شتى بقاع الدنيا، مما يزيد القرآن إعجازاً، ويعزز حفظه الذي تم التأكيد عليه. أما منهج الدراسة فيعتمد على المنهج المقارن والتحليلي والنقدي. وقد أفضى البحث في نتائجه إلى تميُّزِ القرآن الكريم بتيسير تلاوته لجميع المستويات العمرية، والفئات الجنسية، والمراحل التعليمية، مما يؤكد عالمية خطابه، ويعزز أهمية ضبط التلاوة والتجويد، ويبين ضرورة التلقِّي والتلقين والمشافهة لأصول التلاوة، ويحذِّر من الاجتهاد المطلق في تلاوة القرآن الكريم، ذلك أن التزام قواعد التلاوة والتجويد ضمانٌ لتبليغ كلام الله تعالى للأجيال خالياً من الزلل واللحن والتبديل والتحريف والتغيير.

الكلمات المفتاحية: الترتيل، الضبط، التوثيق، النص القرآني.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ABSTRACT

One of the miracle signs of the Qur'an stands the guarantee of its preservation until the Day of Judgment. The preservation of the Quran, known by its characteristic sound that is reproducible, echo according to theory, and convergence of scholarship which is fulfilling a divine command; *So when We recite it, follow its recitation* (The Resurrection: 18). The rules regulating its *tajwid* (correct recitation) preserve the nature of a revelation whose meaning is expressed as much by its sound as by its content and expression. It is *tajwìd* that accounts for the characteristic and unique sound of the recited Quran, a sound immediately recognizable in all its contexts throughout the Islamic world. The correct recitation is transmitted orally and communicated orthographically, articulating each letter from its point of articulation, giving it its full value or the student listens to the teacher's recitation of a phrase or verse of the *ʿUthmānic* codex. While the *tartil* concept was applied to the straightforward and private style of reciting the Quran, as well as to the comprehensive sense of ideal recitation. Thus, in order to understand the significance and effects of the exactitude of *tartil* style, that is, how it works on the adoption of Quranic text and why it works the way it was, this study attempt to describe in terms of the specific theoretical science, principles of recitation, intonation, as well as practices among Quranic circle. This qualitative study was conducted using content analysis methods through descriptive and comparative analysis of texts in accommodating an analysis of Quranic recitation by different levels, ethnicities, ages of *huffaz* (memorizers). The study found the differences in recitation or *tartil* style occurred throughout the Muslim world. However, the adherence of reciters or memorizers in Quranic text adoption confirms the concerted universality of Quranic discourse.

Key words: recitation, *tartil*, *tajwid*, documentation, Quranic text

1. المقدمة

يُعدُّ علم التلاوة والتجويد من العلوم المهارية العملية، إضافة إلى تميُّزه بمادة نظرية، جامعة مانعة، حيث يرتكز على معارف نظرية محددة، وتشارك في تطبيقه حواس متعددة؛ من أذن تسمع وتعي اللفظة القرآنية، وعين تنظر وتبصر آلية لفظها ونطقها، وفم ينطق ويلفظ بلسانه وشفتيه وحلقه الحروفَ من مخارجها الصحيحة، ومهارة ممثَّلة بضبط صفات الحروف لتصبغها بفصاحة عربية بليغة، إضافة إلى العقل، والذي تشكل الذاكرة فيه حيّزاً مهمَّاً لتثبيت المقروء والمحفوظ من كلام الله تعالى، ناهيك عن القلب والفؤاد الذي يعي معنى الكلام فيخشع له، ويخلص في التعامل مع القرآن الكريم؛ تأدباً وتعظيماً وتعبُّداً، ليُرزَق بركته وفتحه.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

جاءت هذه الدراسة تهدف إلى إبراز قواعد التلاوة والترتيل، وأصول القراءة والتجويد، كمنهج ثابت بيّن، تواردت عليه الألسنة، وتواترت آلية ترتيله، تطابقاً مع الرسم العثماني على مرّ القرون، إلى أن ألفينا اللسان القرآني في حاضرنا موحداً في شتى بقاع الدنيا، مما يزيد القرآن إعجازاً، ويعزّز حفظه الذي تم التأكيد عليه.

يعتمد منهج الدراسة والبحث على المنهج المقارن والتحليلي والنقدي، فمن خلال المتابعة لحلقات التحفيظ، في مستوياتها المختلفة، وملاحظة التحكيم في مسابقات قرآنية متعددة، يلاحَظ وجود تباينٍ واضح في أداء القَرَأَة، واختلافٍ ظاهر في مستوى الإقراء، لدى شرائح مختلفة في المجتمعات الإسلامية، ولعل سبب ذلك إنما يرجع إلى تنوُّع آليَّة التلقين، وتعدُّدِ منهجية التعليم، مما يدعو إلى الوقوف على هذا الجانب تحليلاً لمنهجه، واستنتاجاً لخصائصه، ودراسة مهارة التلاوة والتجويد، إبرازاً لأهميتها، وإيضاحاً لجوانب ذات بال في تعليمها وتلقينها، تعميماً للفائدة منها، ونقداً بنَّاءً لطرائق تعليمها، ومقارنة بين جهود متباينة في الأداء؛ تبادلاً في الخبرة، واستفادة من التجربة.

لقد وُسِمَ البحث بعنوان: **(ضبط الترتيل، وأثره في توثيق النص القرآني)**، وجاء في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، تناول المبحث الأول مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ضمن مطالب أربعة؛ تعالج توافق الرسم العثماني مع اختلاف لفظ القراءات المتواترة، وتسهيل تلاوته لغير أهل العربية، وتنوُّع مناهج تحفيظه وتوحيد حفظه، وتيسير فهم معناه لأطياف منوَّعة من الأمة، وناقش المبحث الثاني منهجية التلاوة في مطالب ثلاثة؛ توضِّح أهمية التلقين والتلقِّي والمشافهة، ومآخذ الاجتهاد في التلاوة، وحكم التغنِّي في القرآن، وأشار المبحث الثالث إلى اتجاهات المدارس القرآنية، ومناهجها في التحفيظ، ضمن مطالب ثلاثة؛ حددت فيها أهم اتجاهات هذه المدارس، ومزايا مناهجها، مع تقييم شامل لأدائها، وختم البحث بثلة نتائج مستفادة، وتوصيات مقترحة.

2. مظاهر إعجاز القرآن الكريم

يتناول مظاهر إعجاز القرآن الكريم ضمن مطالب أربعة:

2.1 توافق الرسم العثماني مع اختلاف لفظ القراءات المتواترة.

من المعلوم أن القرآن الكريم مرَّ في توثيقه بثلاث مراحل، تمثَّلت باختصار في تنزُّله كاملاً خلال عصر التنزيل؛ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم التنزُّل المنجَّم على قلب النبي ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام خلال ثلاثة وعشرين عاماً.

وأعقب ذلك المرحلةُ الأولى للتدوين، إذ جُمِع القرآن الكريم في مصحف واحد بين دُفَّتَين؛ المدوَّن منه في السطور، إلى جانب المحفوظ في الصدور، في عهد الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ثم كانت المرحلة الأخيرة للجمع، – وهي النسخ – والتي تم فيها تثبيت ونسخ الخط القرآني المحفوظ في مصحف واحد بين دُفَّتَين، إلى عدة نسخ أرسلت إلى كبرى أمصار الإسلام، شملت ألفاظ القراءات المتواترة المختلفة، وكان السمع بالسند المتواتر المتصل مادة التوثيق والتثبيت للَّفظة القرآنية، بما توافق الرسم العثماني عليها، نسبة إلى عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وبما يوافق أصول العربية ولو بوجه محتمل.

كما كان جهد الجمع وقتئذ محلَّ إجماع وإقرار علماء الأمة، وتوافق وقبول أئمة القراءة والإقراء، وظل التواتر في الإقراء مستمراً متنامياً ممتداً في أصقاع الأرض، لا يشذُّ عنه أحد، ولا يخالف فيه مخالف.

وانتشر علم القراءات المتواترة، وذاع صيته تعليماً وإقراءً في كبرى الأمصار الإسلامية، بعد تقعيد ابن مجاهد ــ رحمه الله تعالى ــ قواعد هذا العلم الشريف في القرن الثالث الهجري[1].

ثم تتالى القُرَّاء من بعده ضبطاً وتحقيقاً لأصول علم القراءات، وكان ولا يزال لهذا العلم روَّاده وخواصّه ممن تسلسل في القراءة والإقراء، بإجازة متواترة متصلة الإسناد إلى سيدنا رسول الله ﷺ، إلى جبريل أمين الوحي عليه السلام، إلى ربِّ العزة سبحانه وتعالى.

وهذا الإسناد إرث قرآني يتوارثه أهل القراءة؛ الخلف منهم عن السلف، في شتى بقاع الأرض، بل إن علم القراءات اليوم بات مقرراً في أشهر الجامعات الإسلامية، حيث هناك كليات ــ بل جامعات ــ مختصة تقرره وتنشره، وتُخرّج منه روَّاداً مهرة متخصصين فيه.

2.2 تسهيل تلاوته لغير أهل العربية.

لقد بات مألوفاً ما نشاهده على شاشات الفضائيات، وما نتابعه على شبكات التواصل الاجتماعي، وما نعايشه من خلال الأسفار والاتصال بالشعوب الإسلامية من غير العرب، وما نرصده في المسابقات الدولية لحفظ القرآن الكريم؛ من مشاركات رائعة لنماذج فريدة ممتعة، ممن يحفظ القرآن الكريم حفظاً قوياً متيناً، ويقرأ القرآن الكريم بطلاقة مميزة، ويتلوه بمهارة فائقة، ويرتِّله بأداء مميَّز، ويكاد لا ينطق بكلمة عربية، فضلاً عن فهم معناها التفصيلي، وهذا ملحوظ في سائر التجمعات الإسلامية الأعجمية غير العربية، وعلى الأخص بلاد شرق آسيا وتركيا وإيران. فنجد القارئ يتقن أحكام التلاوة، ويحفظ كامل القرآن الكريم عن ظهر قلب، بنطق سلس مسهَّل، رغم صعوبة استيعاب اللغة غير الأم، وتعثُّر اللسان الأعجمي في فصاحة العربية، إلا مَن تعذَّر عليه لقوة أعجميَّته، وضعفِه في المران والتدريب والتعليم، فتغلبه أعجميَّتُه.

[1] انظر: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، 1400هـ_1980م، *كتاب السبعة في القراءات*، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط/2.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

لكن سرَّ القرآن الكريم يبدو جلياً لدى القَرَأَة الصفوة المهرة من غير العرب، ممن يتقن الأداء، ويضبط التلقين، ويحسن التمرين، ويجيد التلقِّي، وهو ما يفسِّر لنا لغز هذا الأمر العجيب، وصدق الله تعالى إذ يقول: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: 17]. ويقول الله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [فصلت: 44].

ولقد ساهمت الوسائل الحديثة لتقنية المعلومات في تذليل صعوبة نطق المفردة القرآنية، وتيسير أصول التلاوة، مما نعايشه من برامج متطورة في تلاوة وتعليم القرآن الكريم، وتسهيل حفظه؛ كمصاحف التجويد المختلفة، أو البرامج الالكترونية المتعددة والمتنوعة؛ كبرنامج القارئ الإلكتروني، ونظائره المتنامية، والتي تشهد تطويراً متلاحقاً، وإقبالاً ملحوظاً من العرب وغيرهم، مما تشهده الساحة التعليمية من تطوير وإبداع في هذا المجال، إضافة إلى مواقع مختلفة على الشبكة العنكبوتية، تضم أعداداً متكاثرة من تلاوات قرآنية، وختمات متكاملة متقنة، لمشاهير قراء العالم الإسلامي، مع تيسير حفظها وتحميلها ونقلها، وتسهيل وسائل الاستفادة منها[2].

2.3 تنوُّع مناهج تحفيظه، وتوحيد حفظه.

لعلنا نستطيع القول: إن من مظاهر إعجاز القرآن الكريم تنوُّعَ مناهج تحفيظه، وتوحيدَ حفظه نصاً ونطقاً، وهذا ما تشهده الساحة العلمية في أصقاع الأرض. وفي استطلاع شامل موجز لهذه المناهج، نذكر على سبيل المثال: نظام مدارس وجامعات ومعاهد وهيئات ومراكز تحفيظ القرآن الكريم؛ الدائمة منها والصيفية، في عدد من الدول الإسلامية، والتي أصبحت تبرمج لحفظ القرآن الكريم بمنهجية محددة، ضمن نظام متكامل شامل لعملية الحفظ والتجويد. وتتميز دول عديدة بباع متقدم في هذا النشاط، بل يسجل لها تنافسها وتسابقها نحو التميز والإبداع في خططها وبرامجها، والاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في تطوير آلياتها ومناهجها. بعد حقبة ممتدة شهدت تلوناً فسيفسائياً في آليات التحفيظ والإقراء، فهناك طريقة الكتاتيب السائدة في مصر، ويشابهها تحفيظ المحفِّظ أو الملَّا أو المطوِّع في بلاد الخليج، أو الخجا أو الشيخ القارئ الجامع في بلاد الشام، بطريقة التلقين والمشافهة في مجالس إقراء منتظمة، مقارنة بكتابة الألواح في الخلاوي المشهورة في السودان، وعديد من دول أفريقيا، وطريقة المحاضر في موريتانيا، وهناك القاعدة النورانية المشهورة في قطر والهند وباكستان، وكذلك القاعدة البغدادية، وهناك مجالس القراءة الجماعية المعروفة بـ (الورد اليومي) بعد صلاة جماعة الفجر والمغرب في مساجد المغرب، وهناك نظام التفرغ الذي تنظمه مراكز تحفيظ القرآن في عدة بلدان كدورات صيفية منتظمة، ولا يخفى دور وزارات الأوقاف في الدول الإسلامية في العناية

[2] انظر: عبد المحسن القيسي، 2009م، *فضل القرآن الكريم على اللغة العربية*، مجلة معالم القرآن والسنة، السنة الرابعة، العدد الخامس، صفحة 190-191.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بأنشطة تحفيظ القرآن الكريم، على تباين إمكانياتها ومستوياتها المادية، واختلاف أنشطتها، إضافة إلى اهتمامات المؤسسات الخيرية في تحفيز وتنشيط حفظ القرآن الكريم، ونذكر هنا على سبيل المثال: في قطر؛ مؤسسة عيد الخيرية، وغيرها من المؤسسات الخيرية في إنشاء هذه المراكز، ودعمها والإشراف عليها، وفي الإمارات؛ جائزة دبي الدولية لحفظ القرآن الكريم، ومشروع الشيخ زايد لحفظ القرآن الكريم. وفي الأردن؛ جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وفي المملكة العربية السعودية؛ مدارس ومعاهد القرآن الكريم، وفي مصر معاهد الأزهر الشريف، وهذه كأمثلة، وغيرها كثير.

لكن في المحصلة نجد أن جميع هذه الجهود والمناهج على تنوع وتباين خططها وبرامجها، تؤدي إلى نتيجة موحدة، وهي المحافظة على حفظ القرآن الكريم حيًّا في القلوب، ثبتاً في الصدور، مع دوام تعاهده بالتعليم والتلقين والتحفيظ والتجويد، وهو بفضل الله تعالى، وبفضل هذه الجهود المخلصة من كافة فئات الأمة المسلمة، سيبقى محفوظاً إلى يوم الدين، تحقيقاً لوعد الله تعالى وكفالته بحفظه، في قوله سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9][3].

2.4 تيسير فهم معناه لأطياف منوَّعة من الأمة.

من خصائص القرآن الكريم أنه نزل بلسان عربي مبين، ولغة واضحة سهلة، قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف: 2]، وقال أيضاً: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء: 192-195].

ومن مظاهر إعجاز القرآن الكريم أن قاسماً مشتركاً بين أطياف بني البشر، يحقق فهماً عاماً لمعنى تلاوة القرآن الكريم، وقراءة أو استماع مفرداته، على اختلاف مستويات التالين والقَرَأَة والمستمعين لكلام الله عزَّ وجلَّ، وتلوّن لغاتهم، وتباين جنسياتهم، بحيث يفهم كل قارئ للقرآن الكريم المعنى العام للآية، أو مجموع الآيات المقروءة، بما يناسب مستواه الذهني والعلمي والعمري.

وهذا لا يتعارض مع ما يتميز به القرآن الكريم من إعجاز بياني في مفرداته، وهو مما لا يُمارى فيه، ولا يُختلَف عليه، وهذا ما يسجل للقرآن الكريم، كميزة بلاغية، وخصيصة إعجازية، لا تعارِض إمكانية فهم معناه العام لسائر طبقات القَرَأَة والمستمعين.

ويمكن تجاوز الأمر بتحليل النص وتفسيره، ومعرفة أسرار هذا البيان والإعجاز القرآني، إلا أن تباين هذه النسبة من القاسم المشترك بين أطياف القَرَأَة والمستمعين، يجعلهم مشدودين لمتابعته، شغفين بحبّه، مستلذّين بقراءته،

[3] انظر: أمجد علي سعادة، 2011م، *نحو دراسة الصوتيات العربية، من خلال جهود الإمام مكي بن أبي طالب القيسي في كتاب الرعاية نموذجاً*، مجلة معالم القرآن والسنة، السنة السادسة، العدد السابع، صفحة 15.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

مستمتعين بتلاوته، مستأنسين بسماعه والإنصات إليه، متسابقين إلى تعظيمه وتقديسه، والتبرُّك به، والتأدُّب معه، بل إن كل فرد من أفراد الأمة على تباين مستواه اللغوي والبياني يدرك أن القرآن الكريم خاصتُه، وأنه المستهدَفُ من خطابه ووحيه. بل أعظمُ من هذا! إن قارئه وسامعه أيًّا كان حاله؛ ليستشعر ــ في قرارة نفسه، وإن أنكر بعضهم في ظاهره ــ أن هذا القرآن كلام الحق إلى الخلق، وقول الصدق ليس بالهزل، وهو فوق كلام البشر، ليس بالسحر ولا بالشعر.

وهنا نستذكر موقف أبي الوليد عتبة بن ربيعة، حين جاء النبيَّ ﷺ مفاوضاً، فقرأ عليه القرآن الكريم، فكأنه رقَّ له، فاستثاره أبو جهل، يريد أن يصرفه عن موقفه مدحاً ومفاخرة، وكان عتبة أعلمَ المشركين بالشعر والسحر والكهانة، فقال قول الحق، فيما أثبتته السيرة الشريفة، حين قال لقومه مقرَّاً بما تأثَّر بسماعه: والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإن فرعه لجنى، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطِّم ما تحته. فقال له أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكِّر فيه، لكنه تراجع حين تحدَّاه أبو جهل، فقال بعدما فكَّر: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت الآيات: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا) [المدثر: 11-13].

ويشابه هذا الموقف موقف أبي الحكم الوليد بن المغيرة في مرحلة سياسة المفاوضات، حين عرض على النبي ﷺ عروضاً تفاوضية؛ من مال ومنصب وزواج، على أن يترك هذا الأمر، لكنه تأثر بما سمعه من فم النبي ﷺ حين تلا عليه مقدمة سورة (فصلت)، وهو العربي البليغ الفصيح، ــ يدرك العربية، ويعي مرادها، ويتحسس أجراس مفرداتها، ويستشعر خطر تهديدها ــ لم يتمالك نفسه حين بلغ النبيُّ ﷺ قولَ الله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [فصلت: 13]، حتى قام يمسك بفم رسول الله ﷺ ينشده اللهَ والرحمَ أن يكفَّ عن التلاوة، لما تأثر به من سماع الآيات، وفهم معناها، وربطه لتاريخ ما كان، بحال ما سيكون، وإدراكه حق ما يقوله القرآن، وثَبْتِ ما يخبر عنه، وصدق ما سيقع.

وكان فيما أثبته لقومه بعد ذلك أنه سمع منه كلاماً ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة[4].

3. منهجية التلاوة

ويبحث في منهجية التلاوة ضمن مطالب ثلاثة:

[4] انظر: الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، 1430هـ_2009م، *البداية والنهاية*، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، ج2، ص325.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

3.1 أهمّية التلقين والتلقّي والمشافهة.

يتميَّز كلام الله عزَّ وجلَّ بآليَّة تناقله في خاصّية لا تجدها في سواه من النصوص التاريخية، أو الكتب السماوية الأخرى، إذ أن تناقله عبر التاريخ الإسلامي مرَّ بظروف مميَّزة، أكسبته قوة وحجة، ومصداقية وحفظاً، مقارنة بغيره من الكتب السماوية الأخرى، فضلاً عن الوثائق التاريخية الأخرى عبر تاريخ البشرية. وتشمل منهجية التلاوة هذه المراحل الثلاث، فالتلقين من المعلِّم، والتلقّي من المتعلِّم، وتضبط الأمرين معاً ظاهرة المشافهة، وهي عملية تعليمية متبادلة بين الملقِّن والمتلقّي، تقوم على الملاحظة والدربة، وتترقى من خلال المتابعة والتصويب[5].

والمتتبع لهذه المنهجية منذ نشأتها يجدها منضبطة منتظمة في هذه العملية ثلاثية الأبعاد، فقد تلقَّاه أمين الوحي جبريل عليه السلام عن ربِّ العزة، وجبريل ملَكٌ يتَّسم بالعصمة من الخطأ، لكنَّ وصْفه بالأمين تأكيد على مصداقية الأمانة في نقل وتوثيق النص القرآني، ثم إن المتلقّي الثاني سيدنا رسول الله ﷺ، وهو الذي لم يتلقَّ مهارة القراءة ولا الكتابة على يد معلم، إذ كان ﷺ أمّياً، لكنَّ اعتمادَه على حواسه الممكنة من سمع وبصر ووعي وانتباه وتركيز، جعله مُلفِتاً لنظر المتابع في أهمّية هذا التلقّي، فكان ﷺ يتحرى التقليد والمحاكاة لنطق اللفظة، بعد ملاحظة ومتابعة جبريل عليه السلام وهو ينطقها، وسماعه المفردة القرآنية وهو يلفظها، فيسعى لتحريك اللسان والشفتين، أملاً في تقليد صائب، وضبط ثاقب، وهنا ينزل القرآن الكريم، يطمئن قلب النبي ﷺ بحفظ النص، ويدعوه إلى تتبُّع ومحاكاة القراءة بأمان واطمئنان، وتأكيد وضمان، من أن يضيع منه حرف، أو ينسى منه كلمة. فيقول تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) [القيامة: 16-19].

حتى إنه كان ﷺ ليُعرَف عند القاصي والداني في مرحلة نزول الوحي بتلك الحالة الطارئة المميّزة لأمارات التنزُّل، والتي كانت تعتري النبي ﷺ؛ من تصبُّب عرقه في الليلة الباردة، وما ينتابه إذ ذاك من رعشة وتوتر، إشعاراً بعظمة التنزيل، وقدسية الموحَى به إليه، والتكليف الثقيل، والعبء الشديد للرسالة المرسل بها إلى سائر العالمين، وهو الذي أشار القرآن إليه بقوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) [المزمل: 5][6].

---

[5] انظر: عبد السلام مقبل المجيدي، 1438هـ_2017م، *التلقّي النبوي للّفظ القرآني*، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان الأردن، ط/أولى، صفحة 125.

[6] قال الحسن وقتادة: أي العمل به، وقيل: ثقيل وقت نزوله من عظمته، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت ترضُّ فخذي. وعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيَفصِم عني وقد وعَيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثَّل لي رجلاً، فيكلِّمني فأعي ما يقول). قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد، فيَفصِم عنه، وإن جبينه ليتفصَّد عرقاً. انظر: الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، 1424هـ_2004م، *صحيح البخاري*: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 2، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت. وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم، أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليَّ إلا ظننت أن نفسي تقبض)، وفي رواية: (تفيض). إسناده حسن. وروى الإمام

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

حتى إذا ما انتهت مرحلة التنزُّل هذه عاد النبي ﷺ إلى طبيعته البشرية وقد سُرِّي عنه، فيتسارع كتَّاب الوحي لضبط ما نزل، أخذاً من فم النبي الكريم ﷺ مشافهة وتلقيناً.

وهكذا توالى تلقِّي النص القرآني عبر القرون المتعاقبة بذات الاهتمام والعناية، في ضبط وتوثيق وحفظ ونقل النص القرآني، وتوارث تعلُّمه وتعليمه، من خلال التلقِّي والتلقين والمشافهة، إلى أن وصلَنا القرآن الكريم بنفس الآلية الكلية، وذات المنهجية العامة، فيما نشهده ونلحظه عبر وسائل الاتصال والإعلام في سائر أصقاع الأرض، دون أدنى مخالفة أو تباين في النطق والتهجي، أو تفاوت في اللفظ والقراءة، على اختلاف وتنوُّع وتلوُّن وتعدد الأمصار والمدارس واللهجات والمنهجيات والآليات.

والقراءة سنة متَّبعة، والأصل فيها الاتباع لا الابتداع، والاتباع إنما يكون بتتبع الهيئة والحال، والالتزام بها ضبطاً تاماً، وينبَّه في هذا المقام إلى ضرورة التزام القارئ بإحدى الكيفيات الثلاث التي يُقرأ القرآن الكريم بها، وضمن حدود هذه المراتب الثلاث تحديداً، بعيداً عن الأساليب الأخرى غير الجائزة، والتي نبَّه القراء إليها، وحذروا منها.

وهذه الكيفيات والمراتب الجائزة إنما تتنوع باعتبار البطء والسرعة حصراً، مع التزامها جميعها بقواعد التجويد وأحكام التلاوة، وهي: الترتيل، والتدوير، والحدر.

وقسَّم بعضهم الترتيل قسمين: التحقيق والترتيل. أما الأساليب غير الجائزة فهي: التطريب، والترجيع، والترقيص، والتحزين، والتحريف، والهذرمة، والتلاوة مع الآلات الموسيقية. وكلها ممنوعة لتجاوزها قواعد التلاوة، وأحكام التجويد[7].

3.2 مآخذ الاجتهاد في التلاوة.

أحمد أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها. حديث صحيح. انظر: أحمد بن حنبل الشيباني، 1421هـ_2001م، *الموسوعة الحديثية المسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإخوانه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/أولى، 362/41، رقم الحديث: 24868، وروى ابن جرير أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسرَّى عنه، وهذا مرسل، والجران: هو باطن العنق، والبعير إذا استراح مدَّ عنقه على الأرض. واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معاً، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما ثقل في الدنيا، ثقل يوم القيامة في الموازين. انظر: الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، 1420هـ_2000م، *تفسير القرآن العظيم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/أولى، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي: ج5، ص426. ومجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، 1426هـ_2005م، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط/أولى، ج1، ص241.

[7] انظر: الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد بن الدمشقي الشهير بابن الجزري، 1418هـ_1998م، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ج1، ص165، وحسني، شيخ عثمان، 1410هـ_1990م، *حق التلاوة*، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط/تاسعة، صفحة: 32.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

مما لا يخفى على كل ذي لبٍّ مخاطر الاجتهاد غير المنضبط في أداء التلاوة، والآثار السلبية في عدم التحري في أحكام التجويد، ومحاذير القراءة من غير دُرْبة ولا تمرُّس على يد شيخ مجاز، يضبط اللحن في نطق المفردة القرآنية، ويقوِّم الخطأ في لفظ كلام الله تعالى. وقد قسَّم علماء التلاوة اللحن قسمين: لحن جليّ، وآخر خفيّ، وفرقوا بينهما في التوصيف، والآثار، والحكم.

فاللحن الجليُّ: هو ما يطرأ على اللفظة القرآنية من تغيير في مبناها، يحوّل معناها إلى معنى مغاير، وذلك بتبديل حرف بحرف، أو تغيير في بنية الكلمة بما يخلُّ المعنى، أو يصرفه إلى معنى مخالف، وربما إلى معنى فاحش. وهو منزلق خطير، يتمثَّل في تحريف كلام الله تعالى.

ومن أمثلة هذا النوع قول الله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)، فينطق اللاحن: (لَا أَعْبُدُ) (لَأَعْبُدُ) بحذف الألف ونطق اللام بفتحة واحدة وإسقاط المد الطبيعي حركتين، ليتحوَّل النفي إلى إثبات مؤكد (لَأَعْبُدُ).

أو يقرأ: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) (ووضَعْنَ)، بحذف المد الطبيعي في ألف الجماعة، لتصير (نَا) نون النسوة (نَ).

أو يلفظ: (ثُمَّ) (سُمَّ)، أو (صُمَّ)، باستبدال الثاء سيناً، أو صاداً.

أو يقرأ: ضادَ (وَلَا الضَّالِّينَ) ظاءً، لتصير: (وَلَاالظَّالِّينَ).

أو يلفظ: ذالَ (الَّذِينَ) زاياً: (الَّزِين).

أو يتلو: (وَأْتَمِرُوا) (وأَتْمروا).

أو يقرأ: (وَهُوَ يَعِظُهُ) (وهو يَعَظُّه) بتشديد الظاء.

أو يلفظ سين: (الْأَسْبَابِ) زاياً.

أو يتلو قاف: (قُلْ) كافاً، (كُل).

أو يفتح نون: (نِحْلَةً) (نَحْلة).

أو يصل همزة القطع في قوله تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى) (وانْكحوا الأيامى)، ولا يخفى ما فيها من تغيير المعنى.

أو يقف على ما يغيِّر المعنى تغييراً فاحشاً مما يعرف بالوقف الممنوع، خاصة إن تعمَّد ذلك، كالوقف على: (وَمَا لِيَ)، ثم يبدأ بـ: (لَا أَعْبُدُ) في قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [يس: 22].

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أو يصل واجب الوقوف؛ كوصل كلمة: (وَالْمَوْتَى) بـ: (يَسْمَعُونَ) في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [الأنعام: 36].

والأمثلة على هذه الحالات كثيرة جداً، وسائر ما استشهدت به آنفاً من الأمثلة مما عاينته شخصياً في ميدان التعليم. وهذه الألفاظ الخاطئة إنما رصدتها هنا من واقع ما نعايشه ونسمعه من المبتدئين في القراءة والتلاوة، ممن لا دُرْبَة عنده في أحكامها، ولا مراس له في أدائها، فيلحن بهذه الأخطاء، وغيرها كثير، مما وجب التنبيه إليه، والتحذير منه[8].

كما ذهب العلماء إلى بطلان الصلاة لو تعمد القارئ اللحن، ولم يصوِّب خطأه، لذا حكموا بتحريمه، ومنعوا أداءه، لأن فيه عبثاً وتحريفاً وتغييراً لكلام الله تعالى، ودعوا إلى ضرورة القراءة والتلقِّي على يد شيخ مجاز، منعاً من التهاون في أداء تلاوة القرآن الكريم، وسعياً لأدائها تماماً كما أنزل، وحرصاً على حفظه وصونه من التحريف والتغيير، وهي الميزة التي تكفل الله تعالى بها لهذا الكتاب العظيم. ومن مظاهر حفظه المحافظة على طريقة تلاوته، والأمانة في ضبطه ونقله، والحرص على التتبُّع والتقيد في طريقة لفظه، بعيداً عن الاجتهاد والتكهُّن في كيفية نطقه.

أما اللحن الخفيُّ: فيتمثَّل بالتهاون في أداء أحكام التلاوة بما لا يخلُّ بالمعنى؛ كأن يتهاون في ضبط مخارج وصفات بعض الحروف؛ كترك الهمس، أو إهمال القلقلة، أو تجاهل الصفير، أو تفخيم المرقق، أو ذهاب الغنة، أو تجاوز في نطقها، أو أن يخرج الحرف من مخرج مقارب لمخرجه مثلاً؛

كلفظ الهمزة بدل العين في قوله: (نَعْبُدُ)، و (نَسْتَعِينُ)، من قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، أو إبدال حرف الحاء هاءً في: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أو الدال أو الظاء بدل الضاد، في (الْمَغْضُوبِ).

أو إطالة سائر أنواع المد الطبيعي أكثر من حركتين كحد طبيعي، أو ينقص أو يزيد من مقدار المدود بما لا يخل بالمعنى؛ مثل: إشباع ضم الهاء في (عَنْهُ)، أو إذهاب مد الصلة الصغرى في ضم الهاء في (مَالُهُ) عند قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [اللهب: 2].

أو أن يخالف قواعد الوقف والابتداء، والتي هي شطر علم التجويد، فيقف على ما لم يتم معناه، كالوقف على: (قُلْ أَعُوذُ)، ثم يبدأ بـ: (بِرَبِّ النَّاسِ) [الناس: 1]، أو يصل واجب الوقوف؛ كوصل (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) بـ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: 5-6]، فهذا من الممنوع أيضاً.

[8] وقد نبَّه العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمِّي، وهو لا يحسن القراءة، واختلفوا في صلاة مَن يبدِّل حرفاً بغيره؛ سواء تجانساً أم تقارباً، وأصح القولين عدم الصحة، كمن قرأ الحاء في (الْحَمْدُ) عيناً أو هاءً، أو دال (الدِّينِ) تاءً، أو ضاد (الضَّالِّينَ) خاءً أو ظاءً، ولذلك عدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً، وعدُّوا القارئ بها لحَّاناً. انظر: ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ج1، ص167.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

والأصل الوقف على ما تمَّ معناه، والوصل حيث لم يتمّ؛ فيقف حيث تمَّ، ويستأنف حيث لم يتمّ.

وقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن قوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: 4]، فقال: الترتيل: (تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف)[9].

وقد كره العلماء هذا اللحن، ودعوا إلى منع وقوعه، من خلال تعلم أحكام التلاوة والتجويد، والدُّرْبَة على صواب نطقها على يد المهرة من القراء المجيدين، الضابطين لأحكام التلاوة والتجويد.

وينصح القارئ بضبط أحكام أدائه، والالتزام بأصول القراءة، وقواعد التلاوة، والتلقِّي على يد شيخ ضابط، يلقِّنه هذه الأصول، ويضبط له تلك الأحكام، ويصوِّب له الأخطاء، ويصحح له قواعد التجويد بدُرْبَة وصبر وتمرُّس وتمرين.

3.3 حكم التغنِّي في القرآن.

لا يخفى حال التلاوة الشاذة غير المنضبطة بقواعد التجويد، مما يسمى بالتطريب والترقيص، المخلِّ لآداب التلاوة وأحكام التجويد، أو التلاوة المهذرمة السريعة غير المفهومة، والتي يعمد إليها بعض الحفظة، يهدفون بهذه السرعة المخلَّة لأحكام التجويد تمتين المحفوظ، وتكرار مذاكرته خوف التفلُّت، وكلتا هاتين الصورتين ممنوعة ومرفوضة. وقد بيَّن العلماء هذه الحالات، وفصَّلوا حكمها الفقهي.

ومن المظاهر الشائعة التي ينبغي التنبه لتركها، والبعد عنها، ما يحرص عليه بعض الناشئة من محاولة تقليد بعض مشاهير القراء تقليداً حرفياً، في التلاوة والترتيل والإخراج ونبرة الصوت، بما فيه من تكلُّف وتعسُّف في الأداء، قاصدين بذلك المحاكاة في تحسين وتزيين الصوت، والحرص على النغم الجميل، وهذا من التجاوز غير المطلوب ولا المرغوب في تعلم التلاوة. وفي هذا المقام لا ينكر فضل التغنِّي في القرآن الكريم، والنبي ﷺ قد ندب لذلك، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منَّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن)، وفي رواية: (يجهر به)[10].

لكن المقصود بالتغنِّي هنا أن يظهر المرء حنان وندى الصوت إن أوتيه، وعذوبة وجمال القراءة إن أُكرم بذلك، فالأصوات متباينة متفاوتة في هذا، ولا ينبغي لمن كان أهلاً لذلك أن يبخل بما أوتي من نعمة وفضل، فلربما كانت تلاوته هذه سبباً في هداية التائهين، أو إسلام الكافرين، أو خشوع المؤمنين، أو توبة المذنبين، أو إقبال البعيدين، أو تقرُّب المقرَّبين، لكن بضبط والتزام لآداب التلاوة، دون شطط أو مبالغة.

---

[9] انظر: ابن الجزري: *النشر في القراءات العشر*، ج1، ص166.

[10] انظر: *صحيح البخاري*، كتاب التوحيد، باب (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، رقم الحديث: 7527.

معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أما أن يتكلَّف التقليد لمجرد التقليد، ويسعى لإبراز جمال وتزيين الصوت بتطريب وترقيص، فهذا لون من التكلُّف غير حميد. وكلُّنا يعلم اختيار النبي ﷺ لبلال ﷺ في أداء الأذان لعذوبة صوته، وتأثير شجيّه، وذلك بعدما سمع الأذان من عبد الله بن زيد ﷺ رائي المنام، فقال له: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألْقِ عليه ما رأيت، فليؤذِّن به، فإنه أندى صوتاً منك)[11].

ولقد أثبتت الروايات استئناس سيدنا رسول الله ﷺ بصوت أبي موسى الأشعري ﷺ حين كان يتلو، وأنه أثنى على صوته الحسن، بأنه أوتي مزماراً من مزامير داود، كناية عن جمال الصوت، وحسن الأداء[12].

كما ثبت في الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: (قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ عليَّ القرآن)، قلت: يا رسول الله، كيف أقرأ عليك، وإنما أُنزل عليك؟ قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، قال: فافتتحت النساء، فقرأتُ عليه، فلما بلغتُ: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) [النساء: 41]، قال نظرت إليه، وعيناه تذرفان)[13]. وكان ابن مسعود ﷺ نديَّ الصوت، شجيَّ التلاوة، وقد أوصى النبي ﷺ بقراءته[14].

وهذا كناية عن التأثر بالصوت الحسن والنغم الجميل، لكنه مقيد بضوابط الأداء، وأحكام التلاوة، دون تجاوز.

---

[11] ونص الحديث: عن عبد الله بن زيد ﷺ، قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس ليضرب به للناس في الجمع للصلاة، طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: ما تصنع به؟ قال: فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قال: فقلت له: بلى، قال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم استأخر غير بعيد ثم قال: تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيت، فليؤذن به، فإنه أندى صوتاً منك). إسناده حسن. انظر: *الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد*، رقم الحديث: 16478. ج26، ص402.

[12] عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: استمع رسول الله ﷺ قراءتي من الليل، فلما أصبحت، قال: (يا أبا موسى، استمعت قراءتك الليلة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)، قلت: يا رسول الله، لو علمت مكانك، لحبَّرت لك تحبيراً. حديث صحيح. انظر: الحافظ محمد بن حبان البستي، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي*، 1414هـ_1993م، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية، رقم الحديث: 7179.

[13] إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: *الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد*، رقم الحديث: 7527. ج7، ص190.

[14] عن ابن مسعود ﷺ، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، وهو بين أبي بكر، وعمر، وإذا ابن مسعود يصلي، وإذا هو يقرأ النساء، فانتهى إلى رأس المائة، فجعل ابن مسعود يدعو، وهو قائم يصلي، فقال النبي ﷺ: (اسأل تعطه، اسأل تعطه)، ثم قال: (مَن سرَّه أن يقرأ القرآن غضَّاً كما أنزل، فليقرأه بقراءة ابن أم عبد)، فلما أصبح غدا إليه أبو بكر، ليبشِّره، وقال له: ما سألتَ الله البارحة؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد، ثم جاء عمر ﷺ، فقيل له: إن أبا بكر قد سبقك، قال: يرحم الله أبا بكر، ما سابقته إلى خير قطُّ، إلا سبقني إليه). حديث صحيح بشواهده. *الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد*، رقم الحديث: 4340. ج7، ص359.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

4. آليات المدارس القرآنية في التحفيظ

ويبحث في آليات المدارس القرآنية في التحفيظ ضمن مطالب ثلاثة:

4.1 أهم آليات المدارس القرآنية.

تتنوَّع توجهات المدارس القرآنية إلى آليَّات متباينة ومختلفة شتى في تعليم وترتيل وتجويد القرآن الكريم؛ فمن بين متوجِّه إلى تلقين الأحكام، وضبط الأداء، وتقويم المخارج والصفات، إلى اتجاه آخر مغاير بالكلية، يعتمد التركيز على جمال وتزيين الصوت، وتحسين وتجويد النغم، معتمداً على المقامات في الألحان الموسيقية المعروفة، بينما يذهب توجُّه ثالث إلى تحفيز عملية الحفظ المجرد عن إتقان أحكام التجويد، وتشجيع الحفَظة على الحفظ بغضِّ النظر عن سلامة الأداء، وضبط التقويم، وبالطبع فهذه التوجهات الثلاث، ترجع في منهجها إلى العمل بقوله تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: 4]، وقوله الحق سبحانه: (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: 32]، وقوله عزَّ وجلَّ: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9]، وقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة: 18]، وقوله ﷺ: (زيّنوا القرآن بأصواتكم)[15].

وقوله ﷺ: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، وقوله ﷺ: (ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآن)[16].

وقوله ﷺ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن، يجهر به). رواه أبو هريرة ﷺ، ومعنى (يتغنَّى بالقرآن) عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفتوى يحسِّن صوته به. وقال الشافعي وموافقوه معناه: تحزين القراءة وترقيقها، واستدلوا بالحديث الآخر (زيّنوا القرآن بأصواتكم). قال الهروي: معنى (يتغنى به) يجهر به[17].

ولا شك أن التوجهات الثلاث آنفة الذكر تنبع عن نظرة واختيار؛ كلاً حسب اجتهاده ورؤيته لمفهوم النص. في حين نلحظ توجُّهاً آخر رابعاً يرى العبثية في تعلُّم القرآن الكريم من خلال الحصر والتركيز على هذه التوجهات الثلاث، أو بعضها، وأن التوجُّه الصحيح لتعلُّم القرآن الكريم ينحصر في التركيز على الشرح والتحليل والفهم والتفسير، الهادف إلى التدبر والتعقل والتذكر والتبصر والتفكر في كلام الله تعالى، الموصل إلى تحقيق الخشية من كلام الله تعالى، والخشوع في تلاوة كتابه العزيز، إذ هو غاية التلاوة، وهدف الترتيل.

---

[15] إسناده صحيح. انظر: *الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد*، رقم الحديث: 18494. ج30، ص451.

[16] سبق تخريجه في الصفحة 15. *صحيح البخاري*، كتاب التوحيد، باب (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، رقم الحديث: 7527.

[17]. صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم الحديث: 792. انظر: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، 1421هـ_2001م، *صحيح مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

قال الله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21].

كما جاءت الآيات تحض على هذه الآثار الطيبة لنتائج التلاوة، والتي تشير إليها، وتأمل في تحصيلها، وتحث على السعي لتحقيقها.

كما في قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [البقرة: 44]، وقوله سبحانه: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة: 242]، وقوله عزَّ وجلَّ: (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [الأنعام: 50]، وقوله تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: 21]، وقوله سبحانه: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [الدخان: 58]، وقوله تبارك وتعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد ﷺ: 24].

4.2 مزايا مناهج المدارس القرآنية.

نلاحظ من خلال استقراء شامل لمناهج المدارس القرآنية أننا أمام منهجين متقابلين، لا يغني أحدهما عن الآخر؛ أحدهما يراعي كيفية التلاوة، والآخر يسعى لتحقيق كمِّية الحفظ، وأن التمام والكمال يكمنان في تحقيق المنهجين معاً: (**الكيفية والكم**)، بتوازن ووسطية واعتدال، فلا يُغلَّب جانب منهما على حساب الآخر، كما لا يُغفَل جانب التدبر والتفكر، والذي غالباً ما يتولد من تلاوة متقنة خاشعة هادئة مطمئنة، أو سماعٍ لتلاوة صحيحة مؤثرة منضبطة، منتظمة بقواعد وأحكام التلاوة والتجويد.

4.3 تقييم شامل لأداء المدارس القرآنية.

لا شك أن تلاوة وترتيل وتجويد القرآن الكريم أمر مطلوب، فهو واجب شرعي، وعبادة مأجورة، وقد تميز تنزُّل القرآن الكريم بذلك الترتيل، فوصفه تعالى بقوله: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: 32]، كما أمرنا المولى سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن مرتَّلاً، حيث قال تعالى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: 4].

وعليه فإن مراحل تعليم القرآن الكريم ــ على اختلاف مناهجها وتوجهاتها وطرائقها وآلياتها ــ ينبغي أن تراعي الضبط في الأداء، والتقيد بأحكام التجويد، وأصول التلاوة، وقواعد الترتيل.

كما أن تحصين أستاذ القراءة بالإجازة في القراءة والإقراء كشهادة هامة وضرورية، يتحصَّل عليها بسند عال ورفيع، يجعله أهلاً للتصدر لهذه المهمة المباركة والحساسة؛ مهمة القراءة والإقراء.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

إضافة إلى أن اشتراط اكتسابها يحمي مهمة الإقراء والتحفيظ من العبثية والاسترسال، والتهاون وعدم الاكتراث في تعلُّم القرآن وتعليمه، فلا يسمح بالحفظ _ لمجرد الحفظ _ بهذرمة غير منضبطة، ولا بالاجتهاد غير المنضبط في تحليل ونطق المفردة القرآنية، ولا بالتنطُّع في طريقة الأداء، ولا بالتشدُّق في نطق الحروف، ولا بالتكلُّف المملّ أو المخلّ في طريقة الأداء، مما يلاحظ في عدد من البلاد الإسلامية ومراكز التحفيظ، والتي يتصدر التعليمَ فيها كوادرُ غير مؤهلة ولا متخصصة، بل ينبغي التوسط والاعتدال في هذه المعايير تحققاً وأداءً.

ولقد حذَّر النبي ﷺ من التكلُّف والتنطُّع في كل شيء، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطِّعون) قالها ثلاثاً[18].

الخاتمة:

ونسأل الله تعالى حسنها، وفيها: أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

أولاً: النتائج المستفادة:

1. التزام قواعد التلاوة والتجويد ضمان لكلام الله تعالى من الزلل واللحن والتبديل والتحريف والتغيير، وهذا ما يسجل للقرآن الكريم من ميزة هامة في توثيق النص القرآني لفظاً ونطقاً، إلى جانب حفظه رسماً وخطاً، ليتوافق المخطوط في السطور مع المحفوظ في الصدور، ويؤكد تكفُّل الله تعالى بحفظه من بين سائر الكتب السماوية الأخرى.
2. تميُّزُ القرآن الكريم بتيسير تلاوته لجميع المستويات العمرية، والفئات الجنسية، والمراحل التعليمية، مما يؤكد على عالمية خطابه، فهو خطاب الخالق إلى الخلق، ولسان الحق الذي لا باطل فيه.
3. تميُّزُ القرآن بنسبة عالية من القاسم المشترك لكافة بني البشر بفهم نسبي لمعناه، إلا ما دعت حالة الإعجاز البياني والبلاغي من ضرورة لتحليل معنى، أو تفسير كلمة، أو بيان لمدلول نص، وهذا ما يسجل للقرآن إعجازاً بيانياً أعجز أعلى المستويات من البلغاء وأرقى الفصحاء أن يجاروه أو يماثلوه.
4. أهمية ضبط التلاوة والتجويد، والتأكيد على ضرورة التلقِّي والتلقين والمشافهة لأصول التلاوة، وألَّا يسمى القارئ قارئاً إلا إذا أجيز من قارئ مجاز بالسند المتعارف عليه بين أهل القراءة والإقراء.

[18] انظر: *صحيح مسلم*: كتاب العلم، باب هلك المتنطِّعون، رقم الحديث: 2670. والمتنطِّعون: المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، مأخوذ من النطع، وهو الغار من الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً. وابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، ج5، ص61.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

5. الحذر من الاجتهاد المطلق في تلاوة القرآن الكريم، بحجة وضوح النص، وسلامة اللغة، والمعرفة المسبقة لقواعد اللغة، وهذا لا يعفي المهرة في فهم قواعد اللغة العربية من ضرورة أخذ أصول تلاوة القرآن على أهل القراءة المجازين، وليس الأمر بمستحيل أو عسير، إذا توفرت الإرادة الصادقة، والنية المخلصة، والقناعة بذلك.

ثانياً: التوصيات المقترحة:

1. إنشاء اتحاد عام لحفاظ القرآن الكريم، يرعى جهود التحفيظ والإقراء في العالم الإسلامي، بحيث يكون مرجعاً مؤسسياً للحفظة، تنضبط فيه أنظمة المقارئ، ومشيخات الإقراء، ومعاهد ومراكز التحفيظ، وتعتمد جهات رسمية لاستصدار الإجازات بالأسانيد المعروفة، وتتضافر الجهود في تبادل الخبرات، وتوحيد الرؤى، بعيداً عن العشوائية في التحفيظ، والجهود الفردية المبعثرة.
2. اغتنام وسائل الإعلام المرئية، لإشهار القراءات المميزة، واستغلال الشبكة العنكبوتية في تزويدها بنماذج مميزة لقرَّاء مهرة على المستوى العالم الإسلامي.
3. تنشيط مراكز التحفيظ من خلال تحديث آلياتها القائمة، وإدخال برامج حاسوبية تعتمد التميز في الإبداع والتجديد والحداثة والتطوير في تعليم أحكام التلاوة والتجويد.
4. الحث على الدعم المعنوي والمادي، وتشجيع وتحفيز الناشئة المقبلين على كتاب الله تعالى حفظاً وتعلُّماً، وإجراء المسابقات القرآنية في جو من التنافس الشريف على حفظ كتاب الله تعالى وتجويده، وتطوير آلياتها، وتحديث فعالياتها، وتنشيط برامجها، لتواكب التطور الحضاري المتصاعد.
5. التأكيد على اقتران مرحلة حفظ القرآن بتعلم الأحكام التجويدية النظرية، وبشكل متوازن، بحيث لا يسمح بالحفظ غير المنضبط بأحكام التجويد، لمخالفته أصول وضوابط الحفظ، وشروط القراءة والإقراء، ولركاكته؛ تمهيداً لنسيانه مستقبلاً، كما هو مشاهد وملاحظ ميدانياً.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Abdul Mohsen al-Qaisi (2009), The virtue of the Noble Qur'an over the Arabic language, *Journal of Maʿālim al-Qurʾān wa al-Sunnah, 4(5)* 190-191.

[2] Abdul Salam Moqbel al-Majeedi (1438H-2017M), *At-alaqi An-nabawi Lillafth al-Qurani*, A'mman: Jama'iat al-Mohafathah A'la al-Quran al-Kareem.

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 16, No. 1, (2020), pp. 35-52
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[3] Abu A'bdillah Ahmad ibn Hanbal al-Shaibani (1421H/2001M), *al-Maosoa'h al-Hadeethiyah li Mosnad al-Imam Ahmad ibn Aanbal al-Shaibani*, Beirut: Moassat-Risalah.

[4] Abu Bakr Ahmed bin Musa bin al-A'bbas bin Mujahid al-Tamimi al-Baghdadi (1400H) *Kitabu-ssaba'ah fil-qiraat*, Cairo: Dar Al-Maaref.

[5] Al-Hafiz Muhammad bin Hibban Al-Busti, (1414H/1993M), *Al-Ihsan fi Taqreeb Sahih ibn Hibban, bi-tarteeb al-Ameer Ala'au-deen bin Bilban Al-Farisi*, Beirut: Al-Muassatur Risalah.

[6] Al-Imam Abu al-Hussein Muslim bin al-Hajjaj al-Qushairi al-Nisaboori (1421H_2001AD) *Sahih Muslim*, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.

[7] Al-Imam Al-Hafiz Abu A'bduillah Muhammad ibn Isma'eel Al-Bukhari (1424H/2004M), *Sahih Al-Bukhari*, Beirut: Modern Library.

[8] Al-Imam al-Hafiz Abu al-Khair Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad al-Dimashqi, al-ma'rouf bi-ibn al-Jazari, (1418H/1998M), *Al-Nasher fi al-Qira'at al-Asher*, Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

[9] Al-Imam Al-Hafiz Imad Al-Din Abu Al-Feda'a 'Ismail ibn Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (1420H/2000M) *Tafsir al-Quranil Azim.* Beirut: The Arab Heritage Revival House.

[10] Al-Imam Al-Hafiz Imad Al-Din abu Al-Feda'a 'Ismail ibn Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (1430H/2009), *Bidayatu-nihayah*, Beirut: The Modern Library.

[11] Amjad Ali Saadeh (2011), Towards the Study of Arabic Phonetics, through the Efforts of Imam Makki bin Abi Talib Al-Qaisi in the Book of Care as a Model, *Journal of Maʿālim al-Qurʾān wa al-Sunnah*, 6(7), 15

[12] Hosni Sheikh Othman (1410H/1990M). *Haqqo-tilawah*, Zarqa: Al-Manar Library.

[13] Majdu-Deen Al-Mubarak bin Muhammad ibn Al-Atheer Al-Jazari, (1426H/2005M), *Al-Nihayat-fi gareeb al-Hadeeth wa-lathar*, Beirut: The Modern Library.